-٢-

في نص الحلم الذي يتبع السؤال السابق مباشرة (٥٠-١٤٠) يختصر الشاعر الرومانتيكي مخاوف ذلك السؤال ويطرح احتمالاً سوريالياً تقريباً لمواجهة تلك المخاوف. يخبرنا وردزورث في البدء أنه باح لأحد أصدقائه المحبين للبحث والدراسة بمخاوفه التي تضمنها تساؤله عن مصير الكتب. فكانت ردة فعل ذلك الصديق تأنيب صديقه أولاً لبحثه عن مشكلات لا ضرورة لها، ثم الاعتراف بأنه قد خطرت له هو نفسه هموم مشابهة. ثم تتلو ذلك رواية وردزورث للحلم الذي دخل في أجوائه بينما كان يجلس في كهف على شاطىء البحر يقرأ قصة دون كيهوته Don Quixote ويتأمل مصير «الشعر والحقيقة الهندسية وأحقيتهما المتميزة بحياة أبدية» (٦٥-٦٦).

يقول وردزورث إنه وجد أمامه - في بداية الحلم - «سهلا لا نهاية له من القفر الرملي كله مظلم خالٍ» ومع إحساسه المزيج من الخوف والاكتئاب فإنه لم يلبث أن وجد إلى جانبه شكلاً غريباً يمتطي سنام جمل، بدا كأنه عربي من القبائل البدوية: كان يحمل رمحاً، وتحت إحدى ذراعيه حصاة، وفي اليد الأخرى صدفة ببريق لا مثيل له (٧٥-٨٠).

يحدث هذا الظهور المفاجىء فرحاً غامراً لدى الشاعر الحالم لتيقنه بأن العربي سيقوده من متاهته الصحراوية. لكنه يظل مشغولاً أولا بمعنى الشيئين اللذين يحملهما البدوي فيسأله عنهما، فتأتي الإجابة:

إن الحصاة (كما هي بلغة الحلم) عناصر إقليدس و «هذه»، قال، «شيء ذو قيمة ذو قيمة أكبر»، قال ذلك ومد الصدفة، وكم كانت جميلة متلألئة اللون، ثم أمرني أن أضعها قريباً من أذني. فعلت ذلك، وسمعت في تلك اللحظة بلغة غير معروفة، لكنني فهمتها أصواتاً ناطقة، هديراً نبوياً عالياً من التناغم، قصيدة مشبوبة العاطفة، تتنبأ بدمار أبناء الأرض في طوفان سيحدث عما قريب (٨٦-٩٨).